

# العراق 2003، وألمانيا 1945، وفرنسا 1940: النجاح والفشل في الاحتلال العسكرية

كورا سول غولdstين. درجة الدكتوراه

والفوضى لا تضاهي. وبحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، كان قد قتل 5,3 مليون مقاتل ألماني و2 مليون مدني- أي نحو سبعة في المائة من إجمالي سكان ألمانيا. وهدّمت الحرب معظم المدن الألمانية وحولتها إلى ركام. وترك انهيار الحزب النازي والقضاء على زعمائه فراغاً أيديولوجياً وسياسياً. وبانتهاء الحرب، كان الحلفاء قد أبادوا القوات المسلحة الألمانية (الفيرماخت). والجيش المتعدد الجنسيات والمتعدد الأعراق للرايخ الثالث (الفافن إس إس)، والشرطة السرية الداخلية (الغستابو) وسحقوا الإرادة الألمانية للقتال. ولم تواجه قوات الاحتلال الأمريكية مقاومة مسلحة نشطة. ونتيجة لذلك، انخفضت مع الوقت مستويات القوات الأمريكية في ألمانيا. وفي عام 1945، كان 6,1 مليوناً من القوات الأمريكية متمركزة في ألمانيا المحتلة. ولكن بحلول نهاية 1946 لم يكن هناك سوى 200000 منها.<sup>1</sup> وحتى بعد مشاق حرب الخليج عام 1991، والعقوبات ضد نظام صدام حسين، وحرب 2003، لم تقترب الأوضاع في العراق في فظاعتها من الأزمة الإنسانية التي اجتاحت ألمانيا عام 1945. لقد

دفعت حرب العراق قضية الاحتلال العسكرية إلى صدارة السياسة الخارجية الأمريكية. فلأول مرة منذ عام 1945، تصبح الولايات المتحدة ضالعة في احتلال عسكري كامل يستهدف فرض الديمقراطية بالقوة. وعقدت شخصيات كبرى في إدارة الرئيس بوش، من بينها كوندوليزا رايس، ودونالد رامسفيلد، وبول وولوفيتز، مقارنات بين الاحتلال الأمريكي للعراق والاحتلال الأمريكي لألمانيا، الذي يُعد نموذج الممارسة الأمريكية الناجحة في تغيير نظام راديكالي. وفي كلتا الحالتين، كان للولايات المتحدة نفس الأهداف: الإطاحة بنظام استبدادي وإجرامي، وعدائي بالقوة وإحلال محله في نهاية المطاف حكومة ديمقراطية صديقه تتمسك بمبادئ الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية. وكانت الكثير من السياسات التي نفذها بول برمر الثالث، رئيس السلطة الانتقالية للتحالف في العراق، مبنية كما زُعم على نموذج الاحتلال الأمريكي لألمانيا.

ومع ذلك فإن الاختلافات بين ألمانيا عام 1945 والعراق عام 2003 جعلت الاحتلال الأمريكي لألمانيا نموذجاً غير قابل للتصديق. كانت مستويات الدمار

العين الألمانية: الدعاية الأمريكية البصرية في ألمانيا المحتلة (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 2009)، على التجربة الأمريكية في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

كورا سول غولdstين أستاذة مشاركة للعلوم السياسية في جامعة ولاية كاليفورنيا، لونج بيتش. نالت غولdstين درجة الدكتوراه من قسم العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، يركز كتابها، أسر

والهزيمة مفهوم الوحدة الوطنية. أما صدام حسين. على الجانب الآخر. فلم ينجح في مجانسة العراق. ولم تكف الوطنية العراقية لتوحيد الشيعة. والسنة. والأكراد حت مجتمع واحد متصور. بل إن معاداة السامية ومعاداة الأمريكيين لم تتمكننا من توحيد تيارات قوية تكفي للتغلب على الانشقاقات الدينية. والعرقية. والسياسية في عراق اليوم.

ومع ذلك. ثمة تطور آخر كان حتى أكثر أهمية مما ذكر سالفاً. فإدارة الرئيس بوش لم تتذكر درساً مهماً من الاحتلال الأمريكي لألمانيا. فلما ينجح احتلال عسكري يستهدف تغيير النظام. يتعين على قوة الاحتلال أن يكون لديها فهم دقيق للوضع السياسي في الدولة المحتلة لتطور أجندتها دون أن تستعدي السكان. يجب على قوة الاحتلال أن تبحر في المياه السياسية بحرص وتحشد دعم السكان المحتلين. فالهدف النهائي هو تحويل العدو السابق إلى حليف. وهو هدف فشلت الولايات المتحدة في تحقيقه بالعراق.

### ألمانيا 1945

ثبتت صعوبة التخطيط لما يتعين عمله في أعقاب انهيار الرايخ الثالث وأثار ذلك كثيراً من الجدل. فقد فضّلت وزارة الحرب. تحت قيادة وزير الحرب هنري ستيمسون. ووزارة الخارجية. تحت قيادة كورديل هال. "سلاماً ناعماً". وأعطيتا أولوية عالية لإعادة بناء الاقتصاد الألماني. واقترحتنا أن تدفع ألمانيا تعويضات معتدلة عن الحرب. وروجتا للوحدة السياسية الألمانية. وفي عام 1944. أصبح هنري مورغنثاو الابن. وزير الخزانة. ضالعاً في مناقشات حول مستقبل ألمانيا في فترة ما بعد الحرب. ورفض مورغنثاو خطط وزارتي الحرب والخارجية. ودعا إلى "سلام صارم". فقد كان يعتقد بأنه لضمان سلام دائم لا بد من تدمير الصناعة الثقيلة الألمانية. بدعوى أن "طريق ألمانيا إلى السلام يُفضي



صورة: أدولف هتلر وحاشيته بعد زيارة لبرج إيفل. حزيران/ يونيو 1940.

أحققت عملية حرية العراق قدراً بسيطاً من الإصابات بين العسكريين والمدنيين ودماراً ضئيلاً للمدن - أقل من 6000 جندي عراقي قتلوا.<sup>2</sup>

علاوة على ذلك. حرر تدمير نظام صدام حسين الشيعة والأكراد من أغلال الهيمنة السنية. وترجم ذلك إلى أعمال عنف انتقامية ومصادمات قبلية. ولم يواجه الأمريكيون هذه القضية أبداً في ألمانيا. صحيح. أن الأنظمة في ألمانيا والعراق قبل الاحتلال كانت تعتنق مبادئ مفرطة في الوطنية. ولكن الانشقاقات الدينية. والسياسية. والعرقية فتتت العراق. لقد حاول هتلر إقناع الألمان بوحدة الشعب. وبنى أجندته الوطنية على استبعاد الأقليات غير المرغوب فيها بالتزامن مع محاولة تعزيز الهوية الألمانية الجماعية. لقد وطّدت الدعايات النازية. والمحركة اليهودية. والحرب. والاحتلال العسكري

القتل، والسخررة، والتعذيب، ومن ثم فضحها كدليل على الجرائم النازية.

ومع ذلك، قام مكتب الحكومة العسكرية الأمريكية في ألمانيا، بتكييف سياساته وفقاً للظروف على الأرض. فسرعان ما أدركت سلطات الاحتلال الأمريكي أن الأجندة التأديبية تثير عداة السكان الألمان وجازفت بجعل الألمان عرضة للدعاية السوفيتية. وكان عمر سياسة المواجهة قصيراً - فقد انتهت قبل يوم النصر في أوروبا. كما أعاد مكتب الحكومة العسكرية النظر في أجندته للشعور الجماعي بالذنب، وسياسة عدم التأخي، والطريقة التي نفذها للقضاء على النازية. وأصبح مكتب الحكومة العسكرية، مدفوعاً بالنجاحات المبدئية للسياسة الثقافية السوفيتية في ألمانيا المحتلة، ضالماً في حرب ودعاية ثقافية. ومع قدوم الحرب الباردة، تمت إعادة رسم حدود التسامح الأمريكي وباتت الدعاية الاستراتيجية والرقابة الأمريكية مركزة على معاداة الشيوعية. وبحلول عام 1947، لم يعد الهدف الأمريكي معاقبة ألمانيا وإنما تحويل العدو السابق إلى حليف. وفي عام 1948، وضع الإصلاح النقدي ألمانيا الغربية على الطريق نحو الانتعاش الاقتصادي.

### العراق 2003

في عام 2003، خلقت قوات التحالف من المشاكل أكثر مما حلتها. فقد فشلت العملية العسكرية الخاطفة في تأمين ترسانات العراق من الأسلحة التقليدية، وتمكن المتمردون من الوصول إلى الأسلحة والذخائر. ومنذ تلك اللحظة، بات الأمن في العراق في خطر. فبدون أمن، كانت عمليات إعادة البناء والتنمية الاقتصادية مستحيلة فعلياً. وتتناقض هذه التجربة تناقضاً صارخاً مع فعالية قوات الاحتلال المتحالف في نزع سلاح ألمانيا، حيث سمح غياب المتمرد

إلى المزرعة". علاوة على ذلك، اعتبر تخلص البلاد من النازية مشروعاً طويلاً الأجل. واعتقد أنه للتغلب على الأيديولوجية النازية يتعين توعية جيل كامل من الألمان في محيط سياسي جديد. ولم يتسن تبديد التوتر بين هذين النهجين بالكامل وقت وقوع الاحتلال.<sup>3</sup>

كانت الأجندة الأمريكية المبدئية تأديبية، وغير مرنة، وقاسية. وخلال الحرب، أصرت الدعاية الأمريكية على أن أوجه التشابه بين الأمريكيين والألمان كانت سطحية فقط، وأنها أخفت الخلافات الأخلاقية المتناقضة. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1944، أصدر مكتب معلومات الحرب - المديرية الأمريكية للدعاية الاستراتيجية إبان الحرب العالمية الثانية - على أن المهمة الرئيسية للاحتلال الأمريكي هي حمل الألمان على إدراك أنهم مذنبون. ورفضت اللائحة التوجيهية 1067 لرؤساء هيئة الأركان المشتركة، التي كانت

## إن الهدف النهائي هو تحويل العدو السابق إلى حليف، وهو هدف فشلت الولايات المتحدة في تحقيقه بالعراق.

أول لائحة تناولت السياسة الأمريكية في ألمانيا عام 1945، بوضوح فكرة أن الولايات المتحدة تحرر سكاناً يحتجزهم نظام ديكتاتوري كرهائن. ونصت اللائحة على أن ألمانيا "لن يجرى احتلالها بغرض التحرير وإنما كدولة عدو مهزومة".<sup>4</sup> وفي آذار/ مارس ونيسان/ إبريل 1945، فيما اكتشفت القوات المسلحة الأمريكية وجود معسكرات اعتقال متناثرة في أنحاء ألمانيا وحررت المحتجزين بها، أرغم الجيش الأمريكي الألمان على رؤية الفضائل النازية، ونظم العسكريون الأمريكيون سياسة المواجهة تلك، بجلب مدنيين ألمان إلى أماكن

العراقية الجديدة؛ والواقع، أن الجهاز الأمني العراقي الجديد كان بالكاد فرق موت شيعية مقلنة.<sup>5</sup> وفي نيسان/ أبريل 2004، غير الأمريكيون استراتيجيتهم وحاولوا إعادة دمج كبار البعثيين السابقين في قوات الأمن. ومع ذلك أصبحت الأقلية السننية المشردة نواة التمرد.<sup>6</sup> علاوة على ذلك، أدى التخلص من البعثيين إلى إصابة القدرات الأمريكية لمكافحة التمرد بالشلل. فبدون تضافر الجيش والأجهزة الأمنية العراقية، كانت قوات التحالف تعمل وهي عمياء تقريباً، واندلعت حركة التمرد.

عجزت السلطة الانتقالية للتحالف عن تغيير الهيكل الأساسي للاقتصاد العراقي، ولم تتمكن من تلبية مطلب أساسي للتغيير الناجح للنظام:

للحكومة العسكرية الأمريكية بالبدء في إعادة بناء القطاع الأمريكي عام 1945.

وعلى نفس القدر من الأهمية، كانت العملية الصارمة للقضاء على حزب البعث التي نفذتها السلطة الانتقالية للتحالف كارثة سياسية. ففي أيار/ مايو 2003، حظر برمر حزب البعث، وأقال جميع كبار البعثيين من الحكومة، وحل الجيش وجهاز المخابرات اللذين كانا يضممان 500000 فرد. وطرد الضباط العسكريين فوق رتبة عقيد فضلاً عن جميع الـ 100000 فرد أعضاء في مختلف أجهزة المخابرات العراقية، وقد خلق تفكيك الجيش العراقي والأجهزة الأمنية بطالة هائلة وولد السخط، والعداء، والمقاومة. ومع طرد أولئك الضباط السننة، هيمن الشيعة على قوات الأمن



مجالسة من دار الحفوفات الوطنية، صورة رقم SC-201978، 111، (رئيس أول وقيام سيناطل)

جنود ومعدات من الجيش الأمريكي يتدفقون عبر جسر ريجان بالمانيا، 11 آذار/ مارس 1945.

ثمة بعض النقاط المهمة المشتركة بين عراق 2003 وفرنسا 1940. فكلتا الدولتين تعرضتا للاحتلال بعد حرب قصيرة لم تدمر البنية التحتية لكل منهما وإنما أثرت على السكان المدنيين تأثيراً هائلاً. وهُزم جيش كل منهما، ولكن لم تتم إبادته. علاوة على ذلك،

## حلت الحكومة العسكرية الأمريكية المشاكل في ألمانيا، ولكن السلطة الانتقالية للتحالف خلقتها في العراق.

فإن العداوات الدينية، والإقليمية، والإيديولوجية المزمّنة قسّمت الدولتين.<sup>8</sup> وكان يمكن للاحتلال الألماني لفرنسا أن يوفر بعض الرؤى حول كيفية تناول الاحتلال الأمريكي للعراق.

استغل النازيون الانقسامات التي كانت قائمة في المجتمع الفرنسي لتعزيز سلطتهم والحد من استعمال القوة. فاستغلوا التيارات العميقة المعادية للسامية والمعادية للجمهورية التي عمّت المجتمع الفرنسي واستخدموها لحشد التأييد وتحقيق الامتثال للسياسات النازية. وقسّم الألمان فرنسا إلى منطقتين وعززوا المشاركة الفرنسية في الإدارة اليومية للبلاد. وبدلاً من استعداد الفرنسيين حاول النازيون كسب تعاونهم. ومن عام 1940 إلى 1942، لم تضطر السلطات إلى مجابهة التمرد على نطاق واسع، وكان القمع الألماني معتدلاً بعض الشيء باستثناء اضطهاد اليهود. بطبيعة الحال.<sup>9</sup> وكانت أول سنتين للاحتلال الألماني لفرنسا ناجحتين بالنسبة لألمانيا.

كانت فرنسا وقت "الهزيمة الغربية"، وهي الغزو النازي لفرنسا عام 1940، منقسمة انقساماً عميقاً من

استحداث فرص عمل على نطاق واسع. لقد ابتلي عراق صدام حسين بعمالة ناقصة وبطالة، مثلما حدث في اقتصادات أخرى قائمة على النفط. وفي عام 2003، كان 28 في المائة من القوة العاملة عاطلين، وكانت النساء (52 في المائة من سكان العراق) تمثل 23 في المائة فقط من القوة العاملة الرسمية. ولم تتغير البطالة والعمالة الناقصة كثيراً من 2003 إلى 2008. وفي 2007، كان 57 في المائة من العراقيين في سن الـ 18 إلى 24 - المجندين المحتملين لحركات التمرد - في صفوف العاطلين عن العمل. وفي 2008، كانت البطالة المتفشية لا تزال تؤثر على الشباب والنساء غير المتعلمات.<sup>7</sup>

جاء المستنقع السياسي والإنساني في العراق نتيجة الاحتلال، ولم يكن نتاج حرب 2003. فقد أسفر القتال ضد المتمردين عن تدمير مدن بأكملها، مثلما يبيّن ذلك مصير الفالوجا. كما جلب احتلال العراق وما تلاه من محاولة تهدئة البلاد أزمة صحية ضخمة، رافقها ارتفاع هائل في سوء التغذية ومعدل وفيات الرضع. وأسهمت عوامل عدة في هذه النكبة، بما في ذلك نزوح أصحاب المهن الصحية، وانهار شبكة الصرف الصحي، ونقص الكهرباء والمياه النظيفة، وتهدم المساكن. لقد حلت الحكومة العسكرية الأمريكية المشاكل في ألمانيا، ولكن السلطة الانتقالية للتحالف خلقتها في العراق. وكانت عاجزة عن توفير الأمن لجعل إعادة بناء البلاد أمراً ممكناً أو لتعزيز التضافر الفعال بين العراقيين وقوات التحالف.

## فرنسا 1940

حاولت السلطة الانتقالية للتحالف تطبيق التجربة الأمريكية في ألمانيا في العراق عام 2003، ولكن السياق تطلب شيئاً آخر. ومن المفارقات، أن

كانت لها معنى رمزي- لقد كانت جوهرية أوروبا. وكانت بقية المنطقة المحتلة هامة لأنها ضمت 67 في المائة من السكان الفرنسيين، و66 في المائة من الأراضي الزراعية، و75 في المائة من الصناعة، ومعظم رؤوس الأموال. إضافة إلى ذلك، كانت المشاعر المعادية للجمهورية عميقة في المنطقة، مما جعلها سهلة الانقياد للسيطرة الألمانية. وفي فيشي، قاد بيتان نظاماً يمينياً، وأبويًا، واستبدادياً، تسيطر عليه بيروقراطية عصرية ذات كفاءة فنية. وكانت حكومة فيشي حريصة على إصلاح الدولة الفرنسية، فأنشأت نموذجاً قائماً على اقتصاد الشركات في تكامل وثيق مع الاقتصاد الألماني. وكانت فرنسا كلها، من الناحية الشكلية، تحت حكم فيشي. ولكن الألمان كانوا الحكام وصانعي القرارات الأعلى.

كانت منطقة الاحتلال الألماني، التي ضمت نواة السلطة الاقتصادية، والصناعية، والمالية، والثقافية لفرنسا، خاضعة لنظام حكم غير مباشر. اتبع "الملك" أوتو آبيتنز السفير الألماني في فرنسا، أفكار فيرنر بسست، أحد المثقفين في الجهاز الأمني النازي. وطوّرت بسست مفهوم «الإدارة الإشرافية» لحكم دول أوروبا الغربية التي احتلها قوات الفيرماخت. وطبقا لبسست، فإن الإشراف على عملية امتثال الدولة الفرنسية من شأنه أن يحقق احتلالاً سلمياً في الوقت الذي يخفف فيه الضغط السيكولوجي على الخاضعين للاحتلال. فعلم النازيون ذلك بخلق إحساس بالحياة الطبيعية. ولم يتدخلوا عادة في الشؤون اليومية للبرجوازية الفرنسية. ولم يمسوا تقريباً البيروقراطية، والشرطة، وأجهزة المخابرات الفرنسية. طالما انصاع الفرنسيون للإرشادات الألمانية.

أشرف الألمان على سياسة صارمة معادية للسامية في كل من المنطقة المحتلة وفيشي. ومنعوا اليهود من المشاركة في المجتمع الفرنسي. وقاموا

الناحية السياسية، ومستقطبة بين اليمين واليسار. وكان اليمين الفرنسي كاثوليكياً، ومعادياً للسامية، ومتعصباً لعدائه للشيوعية، ومعادياً للاشتراكية. وكان له تاريخ طويل من المظالم ضد الجمهورية. تعود بعيداً إلى الوراثة إلى الثورة الفرنسية وتصل إلى ذروتها بفضيحة درايفوس. وكان اليمين متلهفاً لإلغاء الديمقراطية البرلمانية واستبدالها بدولة قوية مبنية على الطاعة، والانضباط، واحترام السلطة. وكان اليسار الفرنسي هو الأقلية - مجموعة غير متجانسة من الشيوعيين، والاشتراكيين، والفوضويين، والجمهوريين، والديمقراطيين الليبراليين. وانتخب الفرنسيون ليون بلوم، وهو اشتراكي ويهودي، رئيساً للوزراء عام 1936 يتراش الجبهة الشعبية، وهي ائتلاف من اليسار، والنقابات العمالية، والوسط الجمهوري. غير أنه مع حلول عام 1937، كانت حكومة الجبهة الشعبية على شفا الانهيار.

أتاحت الهزيمة العسكرية الفرنسية للأغلبية المعادية للجمهورية فرصة لتخيل دولة راديكالية جديدة متحررة من أغلال الديمقراطية البرلمانية. وبعد هزيمة الجيش الفرنسي على أيدي النازيين، منح البرلمان الفرنسي المارشال فيليب بيتان، البطل الكاثوليكي الرجعي من فيردون، سلطة سياسية كاملة. وألغى الألمان البرلمان الفرنسي، وحلوا الأحزاب السياسية، وأنهوا ما اعتبره الجناح اليميني الفرنسي الفساد الأخلاقي للديمقراطية. ورّحّب الجناح اليميني الفرنسي بالنازيين، وكان الكثير من الساسة الفرنسيين متلهفين إلى التعاون مع الألمان من أجل إعادة فرنسا إلى "عظمتها".

احتلت الفيرماخت (القوات المسلحة الموحدة لألمانيا) باريس وشمال وغرب فرنسا، وتركت الجنوب في أيدي بيتان، الذي أقام نظاماً موالياً للنازيين في فيشي. وبالنسبة للألمان، فإن السيطرة على باريس



لترتيب أمسي مالتواي، مسرح الطيران الأمريكي

ضابطة حقوق الإنسان في السلطة الانتقالية للتحالف ساندى هودجكينسون تبلغ وزير الدفاع دونالد رامسفيلد عن موقع المقبرة الجماعية في المحاول، 6 أيلول/ سبتمبر 2003.

والماسونيين الأحرار، من الحياة الثقافية الفرنسية. غير أن الألمان أغروا المثقفين الفرنسيين بالمشاركة في البناء الثقافي لأوروبا جديدة يقودها الرايخ الثالث. وشددت الدعايات الألمانية على الصداقة الفرنسية الألمانية وأصرت على أن النظام النازي سيضمن تنمية الثقافة الفرنسية. ونشط القائمون على الإدارة العسكرية الألمانية في تنظيم معارض فنية، وحفلات موسيقية، ومؤتمرات يحضرها مثقفون ألمان مرموقون، وروجوا للحياة الثقافية الفرنسية. لذلك، فإن باريس المحتلة كانت، حتى في خضم الحرمان والقلق، مركزاً فكرياً مزدهراً حيث حدث انتعاش في مجالات نشر الكتب، والمسرح، والسينما، والأزياء.

توحي سنتان من الحكم الألماني غير المباشر في فرنسا في ظل حكومة فيشي والاحتلال العسكري المباشر بأن الاستراتيجيين النازيين كانوا يقرؤون الوضع

بمصادرة ممتلكات اليهود بشكل منهجي. ووضعا خططاً لترحيل اليهود الفرنسيين واليهود المقيمين في فرنسا. وقبل السكان الفرنسيون هذه السياسات، بل إن بعض اليهود الفرنسيين كانوا مرتاحين لأفكار طرد اليهود غير المندمجين (الأجانب) من فرنسا.<sup>10</sup> وترك الألمان البيروقراطية الفرنسية، والأجهزة الأمنية الفرنسية، والشرطة الفرنسية تؤدي مهمة اعتقال اليهود (الأصليين والمغتربين)، والشبوعيين، والناشطين المعادين للألمان. وبناء على الإرشادات الألمانية، شاركت الشرطة الفرنسية في عمليات القمع الحاشدة في مارسيليا وفي تدمير المرفأ القديم.

وفي الميدان الثقافي، سمح النازيون للفنانين والمثقفين الفرنسيين الملتزمين بقدر من الحرية. وطبعاً، لم يسمح الألمان بانتقاد الرايخ الثالث وقادته واستبعدوا اليهود، والماركسيين من كافة المشارب.



رجل فرنسي يبكي أثناء دخول جنود ألمانيا باريس في 14 حزيران/ يونيو 1940.

تقنع السكان المحليين بأن الاحتلال يوفر مستقبلاً أفضل. وباختصار يجب على قوة الاحتلال أن تكسب معركة الإدراك الحسي. علاوة على ذلك، يجب على قوة الاحتلال أن تكون انتقائية في اختيارها لأعدائها لأنه لا يسعها أن تستعدي كل قطاعات السكان في آن واحد وبنفس الشدة. وأخيراً، يتعين على قوة الاحتلال أن تستفيد من الجهاز الأمني المحلي في تعزيز أجندها.

إن إدارة الرئيس بوش

لم تقرأ المشهد السياسي

العراقي على نحو صحيح. كما أنها لم تقم بدقة بقياس القدرة الأمريكية على احتلال دولة في الشرق الأوسط. إن الفوز في الحرب ضد عدو ضعيف شيء، وإقامة حكومة عسكرية بهدف تغيير النظام شيء آخر. لقد كانت توقعات البنتاغون ووزارة الخارجية خاطئة فيما يتعلق بالعراق. فقد اعتقدوا أن العراقيين سيرحبون بقوات التحالف كقوات تحرير وأن العراقيين سيحاكون نموذج المجتمع الأمريكي. وبسبب هذه الافتراضات الخاطئة، رسم المخططون الاستراتيجيون الأمريكيون سيناريو تتم فيه عملية التحول الديمقراطي في العراق كأمر واقع. فمع إقصاء صدام حسين، تكهنوا بأن العراقيين سيعتقدون الديمقراطية الليبرالية بصورة تلقائية، ولم يدرك الأمريكيون أن الأمر سيتطلب قدراً هائلاً من العمل السياسي لإقناع المجتمع العراقي بأن الولايات المتحدة لا تتصرف حصرياً على أساس مصالحها الذاتية، وأن النموذج الأمريكي مرغوب فيه، وسهل المنال، ويستحق السعي إليه.

السياسي في فرنسا جيداً. وسمح لهم ذلك باستغلال أنماط أيديولوجية قائمة من قبل في المجتمع الفرنسي: معاداة السامية، ومعاداة الجمهورية، ومعاداة الليبرالية. كما احترم الألمان الوطنية الفرنسية طالما أنها ساعدتهم في إنجاز الأجنحة النازية في أوروبا وفي المستعمرات الفرنسية بأفريقيا. وكان النازيون، فوق هذا وذاك، قادرين على جنيد البيروقراطية الفرنسية، والشرطة، والأجهزة الأمنية لتطبيق القانون والنظام، ومن ثم تقليص الحاجة إلى قوات احتلال ألمانية في فرنسا.<sup>11</sup>

### الدروس المستفادة من فرنسا 1940 وألمانيا 1945

إن عمليات الاحتلال التي تستهدف تغيير النظام هي بمثابة حروب ثقافية وسياسية، ولا صلة لأيديولوجية قوة الاحتلال بحقيقة أنها لكي تنجح، يجب أن تكسب قلوب وعقول السكان الخاضعين للاحتلال. يتعين على قوة الاحتلال أن توفر الأمن في فترة ما بعد الحرب، وأن

- برنامج محدود للغاية لإبعاد البعثيين. يكون قاصراً على الطبقة العليا من نظام صدام حسين الضالعة في تخطيط وتنفيذ حملات إبادة جماعية ضد الشيعة والأكراد.
- إخماد المتمردين في منطقة الوسط/ الشمال على أيدي القوات المسلحة العراقية. والأجهزة الأمنية. والشرطة تحت إشراف أفراد من التحالف.
- حشد قوات التحالف على الحدود العراقية الإيرانية. لإغلاقها ومنع تسلل الأسلحة. والأموال. والأفراد الإيرانيين إلى العراق.
- ظهور حكم ديني استبدادي في الجنوب.

### الخلاصة

لا يمكن أن ينجح فرض الديمقراطية بالقوة إلا إذا كانت قوة الاحتلال قادرة على كسب تعاون السكان الخاضعين للاحتلال. ففي فرنسا عام 1940. تمكن النازيون من تنفيذ احتلال ناجح لأنهم اعتمدوا على الأغلبية الفرنسية المعادية للديمقراطية والمعادية للسامية. في هذه الحالة. نشأ التعاون نتيجة للخوف والألفة الأيديولوجية. وفي ألمانيا 1945. تمكنت الولايات المتحدة من استغلال الدمار المادي والسيكولوجي لألمانيا وخوف السكان الألمان من

## إن الفوز في الحرب ضد عدو ضعيف شيء، وإقامة حكومة عسكرية بهدف تغيير النظام شيء آخر.

السوفيت. وأسهمت عناصر كثيرة في تعزيز مشاعر ألمانيا الغربية المناصرة للأمريكيين في فترة ما بعد الحرب. فقد ضمنت الولايات المتحدة الأمن والنظام. في الوقت الذي شجعت فيه إعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي. ولم يوفر الأمريكيون الكثير من السلع الاستهلاكية وحسب.

فشل البنتاغون ووزارة الخارجية في تجنيد حلفائهما المحتملين - البعثيين. وقلول اليسار. وقوات الجيش والأمن العراقية. واعتمد بقاء هذه القطاعات على احتواء الأصولية الإسلامية. الشيعة والسنة على حد سواء. وكان لا بد أن يكون واضحاً أنه سيستحيل التوفيق بين هدف الديمقراطية ووجود أغلبية معادية للديمقراطية عازمة على إقامة دولة دينية. ولو كان مخططو الاحتلال قد أدركوا حقيقة أن العراق دولة مقسمة انقساماً مريراً تمزقها العداوات بين قطاعات المجتمع. لكانوا قد صمموا استراتيجية احتلال تستغل الشروخ الاجتماعية القائمة التي تفرق بين المناصرين للحكم الديني. والأصوليين الشيعة. والبعثيين السنة. والأكراد. كان يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقسيم العراق واحتمالية النجاح. كان على الولايات المتحدة أن تركز مساعيها لجلب الديمقراطية على وسط / شمال العراق. وتترك الجنوب في أيدي الأغلبية المناصرة للحكم الديني.

بمقدورنا أن نتصور هذا السيناريو الافتراضي:

● تقسيم العراق على أسس جغرافية. وسياسية. ودينية إلى منطقتين - الجنوب. الذي تهيمن عليه أغلبية شيعية. والوسط/ الشمال. اللذين تهيمن عليهما أغلبية سنية وكردية.

● تقسيم بغداد إلى قطاعين. أحدهما شيعي

والآخر سني.

● حشد الجهود السياسية. والاقتصادية. والمالية للتحالف في منطقة الوسط/ الشمال وفي القطاع السني من بغداد. فمناطق الوسط/ الشمال غنية بالنفط. وتمتع بنفوذ علماني قوي. وكان من المحتمل من ثم. أن تكون أكثر قبولاً للديمقراطية والتحديث. وكان يمكن للتجربة البالغة النجاح للحكومة العسكرية الأمريكية في ألمانيا أن تكون تجربة لا تقدر بثمن في تحويل منطقة الوسط/ الشمال والقطاع السني من بغداد.

مجموعات سكانية متنافسة بأجناس متنافرة. في هذا السياق السياسي، كان على الولايات المتحدة أن تكسب تعاون الأقليتين السننية والكردية، وتساعدتهما على بناء نموذج للديمقراطية الليبرالية في الشرق الأوسط. ثم تترك الشيعة لإرادتهم الخاصة في الوقت الذي تستعمل فيه الوسيلة العسكرية لمنع أي اتصال بين المنطقة الشيعية وإيران منعاً فعالاً. وكان من شأن تقسيم العراق وبغداد أن يسمح للولايات المتحدة أن تفعل ما فعلته في ألمانيا بعد الحرب بنجاح كبير: التفوق على منافسيها. فما كان بمقدور أي نظام شيوعي مبني على نموذج آيات الله الإيرانيين أن ينافس المشروع التنموي الذي تدفع به الولايات المتحدة في وسط وشمال العراق إذا ضمنّت الولايات المتحدة الأمن. وحفزت الاقتصاد العراقي. وأنشطة الحياة الثقافية العراقية. ميليتاري ريفيو

وإنما تمكنوا أيضاً من نقل إحساس الشراكة إلى سكان ألمانيا الغربية، الذي جسّده الجسر الجوي لبرلين. وبدأ أن الحياة في المنطقة والقطاع الأمريكيين. بكل صعوباتها. بديل أفضل من كآبة المنطقة والقطاع السوفيتيين. وبالطبع، لم تكن هناك في ألمانيا أصولية دينية لقرها. وكان السكان على درجة عالية من التعليم، والعلمانية، والحماسة إلى المشاركة في بناء أوروبا غربية ديمقراطية ومزدهرة متحالفة مع الولايات المتحدة. ورغم أن الألمان لم يتخلوا عن ارتباطهم بالنازية في عام 1945، فإن واقع الهزيمة غير المشروطة والوجود الكاسح لقوات التحالف جعل المقاومة مستحيلة بالفعل. في عراق 2003، واجهت الولايات المتحدة تحدياً بالغ الصعوبة لأن الحرب لم تدمر البلاد، وأتاحت الإطاحة بنظام صدام حسين للعراق بأن يتجزأ عفوياً إلى ثلاث

## ملاحظات هامشية

- 7 نيسان/ إبريل 2005. CFR.org.
7. بيانات اقتصادية للعراق (1989-2003) [https://www.cia.gov/library/reports/general-reports-1/iraq\\_wmd\\_2004/chap2\\_annxD.html](https://www.cia.gov/library/reports/general-reports-1/iraq_wmd_2004/chap2_annxD.html)
- للقدوة العمالية للعراق 2003-2008. كانون الثاني/يناير 2009. [https://www.iauiraq.org/reports/Iraq\\_Labour\\_Force\\_Analysis.pdf](https://www.iauiraq.org/reports/Iraq_Labour_Force_Analysis.pdf)
- بيزنس. آب/ أغسطس 2007. <iraqianalysis.org>
8. روبرت غيلدي. أطفال الثورة الفرنسية: الفرنسيون. 1779-1914 (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد. 2008). 106.
9. مارك مازوار، إمبراطورية هتلر: الحكم النازي في أوروبا المحتلة (لندن: مطبعة بنغوين، 2008): كريغ إف موريس. الاحتلال الألماني لفرنسا 1940-42: بين الهدنة والاستسلام؟ (كلية القيادة والأركان الجوية، 2006).
10. كان هذا، مثلاً، هو الرأي الذي عبّر عنه عام 1940 المؤرخ الفرنسي المرموق مارك بلوش. عضو المقاومة، الذي عذبه وقتله الغستابو عام 1944. قبل أسبوعين من تحرير باريس. أنظر سول فريدلاندر، سنوات الإبادة (نيويورك: دار نشر هاربر كولينز، 2007). 178.
11. روبرت غيلدي، ماريان في أصفاد: الحياة اليومية في قلب فرنسا إبان الاحتلال الألماني (نيويورك: متروبوليتان، 2003).

1. جيمس دوبينز وجون جي. ماكجين، وكيث كرين، وسيفت جي. جونز، ورولي لال، وأندرو راثميل، وراشيل إم. سوانغر، وأجا آر. تيميلسينا، دور أمريكا في بناء الدولة: من ألمانيا إلى العراق (سانتا مونيكا: دراسة راند، 2003). 9.
2. أخبار سي بي سي، العراق: الإصابات في حرب العراق (تحديث 5 شباط/ فبراير 2007). [www.cbc.ca/news/background/iraq/casualties.html](http://www.cbc.ca/news/background/iraq/casualties.html). من الصعب تحديد عدد الإصابات المدنية العراقية على وجه الدقة خلال عملية حرية العراق. ولكن العدد يتراوح على الأرجح بين 1000 و 10000. [www.iraqbodycount.org](http://www.iraqbodycount.org).
3. ريبكا بوهلينغ، مسألة أولويات: الإصلاحات الديمقراطية والانتعاش الاقتصادي في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية (نيويورك: برغان بوكس، 1996). 15-40.
4. أنظر كورا سول غولدستين، "فشل استراتيجي: السياسة الأمريكية للتحكم في المعلومات في العراق المحتل". ميليتاري ريفيو (آذار/ مارس - نيسان/ إبريل 2008): 63؛ أسرار العين الألمانية: الدعايات البصرية الأمريكية في ألمانيا المحتلة (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 2009).
5. ستيفن لي مايرز، "القلق يتصاعد بشأن جاهزية القوات العراقية". نيويورك تايمز، 8 أيار/ مايو 2009. A1-A19.
6. شارون أوترمان، العراق: القضاء على حزب البعث. مجلس العلاقات الخارجية.

## 2003 Iraq, 1945 Germany, and 1940 France: Success and Failure in Military Occupations

*Cora Sol Goldstein, Ph.D.*

Originally published in the English July-August 2010 Edition.